



عزم الأمور

خطب المناسبات

محاضرة في الأردن

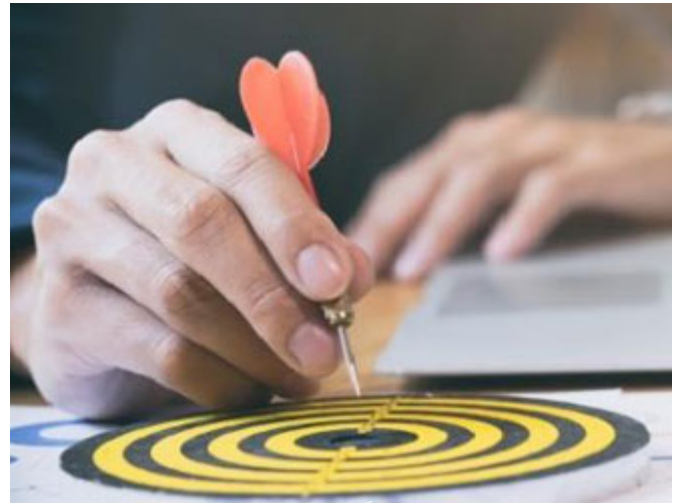
2022-12-12

عمان

الأردن

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا الأمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، اللهم علّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علّمنا، وزدنا علماً، وعملاً متقبلاً يا رب العالمين، وبعد: عنوان لقائنا اليوم أيها الكرام: **عزم الأمور**.

مواطن العزم:



الأمور الشاقة على النفس تحتاج عزمًا

هناك أمور تحتاج إلى عزم، بعض الأمور في حياة الإنسان لا تحتاج إلى جهد، لا يوجد إنسان يقول: أنا اليوم عازم -إن شاء الله- على حلاقة شعري، لا تحتاج حلاقة الشعر إلى عزم، لكن قد يقول: أنا عزميت اليوم على قراءة هذا الكتاب، قد عزميت في هذا اليوم على قيام الليل، قد عزميت على أن أداوم دوماً طويلاً في النادي الرياضي بحيث أجهد نفسي و أخفف من وزني، فالأمور التي تحتاج عزمًا هي الأمور الشاقة على النفس، أما الأمور البسيطة التي يفعلها الناس فما أحد يقول: قد عزميت على طعام الغداء فهذا لا يحتاج إلى عزم! كل الناس تأكل، العزم يكون في الأمور التي تحتاج إلى جد وجهد وبذل وأن يقوم الإنسان بها بإرادة قوية.

1- أولو العزم من الرسل:

القرآن الكريم ذكر العزم في مواطن منها قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ بَرْزُقٌ مَّا يُوْعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلْغَ قَهْلٍ يُهْلِكُ إِلَّا
الَّذِينَ لَقُوا اللَّهَ فَأَعْدُوا لَهُمْ (35)

(سورة الأحقاف)

هذه الـ"من" (مِنَ الرُّسُلِ) إن فهمناها تبعيضية فإذاً بعض الرسل أولو عزم والباقي ليسوا أولي عزم، وإن فهمناها بيانية لبیان الجنس فكل الرسل أولو عزم، إما أن نفهم (فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ) أنهم بعض الرسل وليس كل الرسل، وإما أن نفهمها (فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ) يعني لبیان من هم هؤلاء أولو العزم وهم جميع الرسل، وكلاهما قولان معتمدان لأهل العلم؛ أما التبعيضية فجمهور العلماء على أن أولي العزم من الرسل هم خمسة، وهم الذين ذكرهم الله تعالى في قوله:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَنُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا (7)

(سورة الأحزاب)

عطف فقال: (وَمِنْكَ وَنُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ) فذكرهم معطوفين على جميع الرسل فتبين أن لهم مزية فضل، وهذا من باب عطف الخاص على العام، وإذا نظرنا في سيرة هؤلاء الأنبياء الخمسة وجدنا العزم في سيرتهم واضحاً؛ فاما نبينا -صلى الله عليه وسلم- فلا حاجة للاستدلال على عزمه فهو سيد الرسل وخاتم النبيين، وهو الذي يقول:

{ لقد أُخِفْتُ في اللَّهِ وما يُخَافُ أحدٌ. ولقد أُوذيتُ في اللَّهِ وما يُؤذي أحدٌ. ولقد أتت عليّ ثلاثونَ من بين يومٍ وليلةٍ وما لي ولبلالٍ طعامٌ يأكلُهُ ذو كبدٍ إلا شئٌ يواريه إبطُ بلالٍ }

(أخرجه الترمذي وأحمد عن أنس بن مالك)

صبر في الشَّعب، صبر في الطَّائِف، صبر على قومه في مكة، صبر على المنافقين في المدينة، كان عنده العزم واضحاً وهذا في سيرته كلها، وكذلك نوح الذي لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً وما ترك وسيلة من الوسائل لدعوة قومه إلا سلكتها:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَبَّاءَ وَتَهَارًا (5) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا (6) وَإِنِّي كَلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لَتَعْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أُصْغُهُمْ فِي أَعْدَانِهِمْ
وَلَا تَسْمَعُوا نِيَّائِهِمْ وَأَصْرُوا وَلَا تَكْتَبِرُوا سَكْبًا (7) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا (8) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا (9)

(سورة نوح)

نوع أساليب الدعوة ألف سنة إلا خمسين عاماً وهو يدعو قومه فهو من أولي العزم؛ وأما إبراهيم عليه السلام فلا يخفى تنفيذه لأمر ربه يوم أُمِرَ بذبح ابنه فبادر من غير أن يسأل عن علة ولا حكمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَلَمًا أَسْلَمًا وَلَهُ يَلْجَيْنَ (103)

(سورة الصافات)

ولا يخفى ما في عزمه يوم أسكن من ذريته بواذ غير ذي زرع عند بيت الله تعالى المحرم، ولا يخفى ما في عزمه يوم ألقى في النار، ويوم دعا أباه آزر إلى عبادة الله وحده، وقد كان بعيداً عن الدين وعن الحق وعن الخير؛ وأما موسى وعيسى-عليهم جميعاً وعلى أنبياء الله أفضل الصلاة والسلام-، موسى -عليه السلام- مع قومه وفي رحلته ومع فرعون وفي دعوته، وعيسى-عليه السلام- وما واجهه من قومه من تكذيب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَنُزُقًا وَأَنْتَ خَيْرُ
الْمُرْسِلِينَ (114)

(سورة المائدة)

فهؤلاء أولو العزم من الرسل، أو أن نقول: إن جميع الأنبياء أولو العزم، يكفي أنهم حملوا رسالة الله تعالى فهم من أولي العزم حتى إن الله تعالى يوم قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (115)

(سورة طه)



سارع إلى التوبة

فإما أننا لم نجد له عزمًا على المعصية، لم يكن عازمًا على المعصية ولكنه نسي، قيل له: لا تأكل من هذه الشجرة فنسي فأكل، لكن لم يكن عازمًا لذلك سارع إلى التوبة، أو أن نقول: (وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا) في هذه المسألة لكن ليس في كل المسائل، فكل أنبياء الله وكل رسل الله أولو العزم، وإن خصصنا هؤلاء الخمسة ففعلًا لهم مزية، وقد ذكرهم الله تعالى في قرآنه بشكل واضح بأنهم من الأنبياء الذين اختصهم الله بمزية فضل، ولولا ذلك لما عطفهم على بقية أنبيائه (وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَقَهُمْ وَمِنْكَ وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ) وكل رسل الله -عز وجل- فيهم من العزم ما فيهم، لكن لعل هؤلاء فيهم مزية إضافية.

أحبائنا الكرام؛ موضوعنا هو عزم الأمور، ما الذي ذكره الله تعالى في قرآنه من عزم الأمور؟ هي ثلاث آيات لا رابع لها، الآية الأولى في آل عمران قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمُورِكُمْ وَتُنْفُسُكُمُ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ

هذه الآية الأولى، الثانية: يقول تعالى على حكاية على لقمان يخاطب ابنه قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يُنَبِّئُ أَفِيمٍ لِلصَّلَاةِ وَأُمُرٍ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهٍ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالصَّبْرَ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (17)

(سورة لقمان)

والثالثة قوله تعالى في سورة الشورى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (43)

(سورة الشورى)

2- العزم عند الابتلاء:

ثلاث آيات: تبدأ بالأولى: (لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ) الابتلاء قدرنا، (لَتُبْلَوُنَّ) نون التوكيد الثقيلة واللام الموطئة لجواب القسم؛ كأن هناك قسماً: أقسم لتبْلَوُنَّ، الابتلاء ليس قضية تكون أو لا تكون، بل هي جوهر حياتنا:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ (2)

(سورة الملك)



الحياة امتحان وابتلاء

فلو قال إنسان: أريد أن أدخل الدنيا من غير أن ابتلى، قلنا له: مثلك كمثل من دخل الجامعة وقال: أريد أن أنال شهادة من غير أن امتحن، وما الجامعة إلا لامتحان، فالحياة للامتحان والابتلاء، فنحن مبتلون (لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ) في الأموال الإنسان يفتقر فيبتلى، ويزيد ماله فيبتلى، يُبتلى عند زيادة المال ويُبتلى عند نقص المال، فإن زاد المال فهو مُمتحن، هل ينفقه في الحق أم في الباطل؟ هل يدفع زكاته أم بمسكه؟ وإن نقص ماله فهو مبتلى هل يتعفف ويتجمل أم يسخط ويصجر؟ فهو مبتلى بماله في الزيادة والنقص.

(سورة الأنبياء)

فالابتلاء ليس بالبشر دائماً، الابتلاء يكون في الخير أيضاً، وقد يكون الممتحن في الخير أشدَّ امتحاناً من الممتحن بالشر، فكف من إنسان طغي بماله، وكف من إنسان عثَّه صحته وقوته، أحياناً الإنسان في ضعفه وفقره يكون أقرب إلى الله، فالامتحان موجود في القوة والضعف، في الغنى والفقر، هذه في أموالكم، **(وَأَنْفُسِكُمْ)**، أنفسكم يمكن أن تكون بفقد إنسان كأن يفقد أخاه، يفقد صديقه، يفقد أحداً من أهل بيته، أو بالمرض يبئله بنفسه بمرض معين يبتلي به الله تعالى ويمتحنه، هل هو راضٍ عن الله أم غير راضٍ؟ هل يتسخط ويضجر ويشكو أم يتحمل بالسرور ويحمد الله تعالى على الصراء كما يحمده على السراء؟ هذه في أنفسكم فالإنسان يبئله في ماله ويبئله في نفسه، قال: **(وَلَتَنْتَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ آتَوْا بِكُم مِّنَ الْقِيَمَاتِ)** اليهود والنصارى **(وَمِنَ الَّذِينَ اشْرَكُوا أَذَى كَثِيرًا)** يعني وطن نفسك أنك ستؤذي، أنت التزمت بالحق والخير، والناس بعيدون، سستمع منهم أذى كثيراً **(وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ آتَوْا بِالْبَايِعَاتِ وَكِفَّيْكُمْ وَلَيَنْ أَشْرَكُوا أَذَى كَثِيرًا)**، لأن معركة الحق والباطل مستمرة، هذه سنة الله في الحياة لو أراد الله تعالى أن يلغي هذه المعركة لالغها، كيف يلغيها قال:

(سورة محمد)

بلحظة واحدة ينصرنا عليهم وانتهى الأمر، قال: (وَلَكِنْ لِّيَبْلُوْا بَعْضَكُمْ بَعْضًا) امتحان، (وَالَّذِيْنَ قُوْلُوْا فِيْ سَبِيْلِ اللّٰهِ قُلْنَ بَعِيْلًا اَعْمَلْتُمْ) يعني نتائج المعركة قد تكون مؤلمة، قتلى لكن في سبيل الله.

(سورة محمد)

إذاً المعركة موجودة سنة من سنن الله تعالى، فما يقول إنسان: لماذا نعيش مع أهل الباطل؟ لأن الله تعالى شاء ذلك، ولو شاء لجعلهم في كوكب آخر يعيشون وحدهم وهو أعلم بهم، ولو شاء لجعلهم في قارة أخرى، ولو شاء لجعلهم في حقبة أخرى، فجعل القرن السابع عشر للكفار، والثامن عشر للمؤمنين وانتهت المشيئة، لكن أراد الله أن تجتمع معاً في أرض واحدة، وفي زمان واحد لأن الحق لا يقوى إلا بالحق، ولأن أهل الحق لا يستحقون الجنة إلا بالبدل والتضحية (وَلِتَسْمِعَنَّ مِنْ ذِئْبَيْنِ اتُونَا كَلِمَاتٍ مِنْ قِبَلِكُمْ وَمِنْ ذِئْبَيْنِ أَشْرَكُوا أَدَى كَثِيرًا) سيؤذيك أهل الباطل، ستمتحن بهم وتُمتحنون بك، هذه سنة الله قال تعالى: (وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ).

الصبر مقترن بالتقوى:

ما عزم الأمور هنا؟ الصبر والتقوى، هناك صبر بلا تقوى نتيجة القهر ثم القبر، وهناك صبر مع تقوى نتيجة النصر.

(سورة آل عمران)



المؤمن صبره مع التقوى

في آية أخرى، وهنا **(وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ)** أن تحقق الأمرين معاً، أن تصبر على البلاء وأن تتقي معصية الله، أما إذا كان الإنسان غارقاً في المعاصي وقال لك: "أنا صابر"، أي صبر هذا وأنت لا تتقي الله تعالى؟! هذا صبر المضطر، الذي يكون بلا تقوى صبر المضطر، إنسان أراد الله تعالى به مرضاً، وسخط قليلاً ثم رضي بما كان، لكن ما عنده تقوى، يأتي ما حَرَّمَ الله تعالى لا يتقي الله فهذا صابر صبر الاضطرار؛ أما المؤمن فصبره مع التقوى، يصبر على أداء الواجبات ويتقي أن يرتكب المحظورات، يصبر على الصلاة ويتقي أن يطلق بصره **(وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا)** يصبر على الابتلاء ويتقي أن يقع في المخالفات كلاهما مع بعض، يصبر على أداء الواجبات ويتقي أن يرتكب المحظورات؛ هذا هو الصبر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلْ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى (132)

(سورة طه)

أنواع الصبر:

إما أن يكون صبراً على الطاعة، أو أن يكون صبراً عن المعصية، أو أن يكون صبراً على القضاء والقدر، الصبر إما على الطاعة أو عن المعصية أو على القضاء والقدر، هذه حروف الجر باللغة العربية كل حرف يعطي معنى، لو قلت: "رغبت في الشيء" فأنت تريده، ولو قلت: "رغبت عنه" فأنت لا تريده.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ إِلَهِي يُابِزْهُمْ كَيْنَ لَمْ تَنْتَ لِأَرْحَمَكَ وَالْهَجْرُنِي مَلِيًّا (46)

(سورة مريم)

فرغب فيه شيء، ورغب عنه شيء آخر، وصبر عليه شيء، وصبر عنه شيء آخر، صبر عليه:

أ- **صبر على الطاعة:** **(وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا)** اصطبر أبلغ من "واصبر" الزيادة في المبنى زيادة في المعنى، **(وَاصْطَبِرْ)** تحتاج الصلاة إلى صبر، تستيقظ لصلاة الفجر وتوقظ أولادك **(وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ)** وأول يوم سيزعجوك يستيقظون أو لا يستيقظون، وثاني يوم وأنت تصطبر، تصطبر على الصلاة، ومساءً تأخرت قليلاً بصلاة العشاء وشعرت بالنعاس وقمت إلى الصلاة، الصلاة تحتاج إلى الصبر **(وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا)** هذا صبر على الطاعة.

ب- **أما الصبر عن المعصية:** فغض البصر يحتاج إلى صبر، وارتكاب المخالفات كلها يحتاج إلى صبر، ما مشكلة الذين يعصون الله؟ أنهم لا يصبرون، ما معنى لا يصبرون؟ يستعجلون، لا يصبر يعني يستعجل، ربنا - عز وجل - قال له: إن اتقيت الله ولم تأتِ الحرام أعدد لك ما لا عين ولا أذن سمعت، لكن اصبر حتى تصل إلى الحلال، فهو لم يصبر فاستعجل فوق في الحرام، فهو لم يصبر عن المعصية.

ج- والصبر الثالث: **صبر على قضاء الله وقدره:**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رُجُوعُونَ (156)

فقد قريب، فقد حبيب، فقد مال، قضاء الله الذي قد يراه الإنسان من منظوره شراً، يراه من منظوره هو أنه شر، فيصبر على ذلك، على ما فقدته أو على ما فاتته من الدنيا يصبر، فالصبر على الطاعة وعن المعصية وعلى القضاء والقدر، **والتقوى أن يُطاع الله فلا يُعصى**، فصار عندنا صبر وتقوى هذا من عزم الأمور، الذي يحقق الصبر والتقوى معاً قال: **(إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ)** يعني من الأمور التي تحتاج إلى صبر وجهد ومثابرة، ليست بالأمور السهلة، لا يستطيعها إلا أولو العزم.

3- إقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:



أبدأ مع الناس بالحب قبل الأمر

الآية الثانية يخاطب لقمان ابنه فيقول له: **(يَا بُنَيَّ)** تودد، تحبب، لأن بُنَيَّ تصغير ابني بُنَيَّ، والتصغير يأتي للتودد، وقد يأتي للتحقير، هنا عندما يكون من الأب لابنه فهو من التودد، وقد يقول إنسان لآخر: فلان ليس بشاعر، فلان شوبعر فبريد بذلك أن يحقره، وقد يقول قائل: شوبعر نبع في العلم، فيراد به التعظيم، فالسياق يوضح لماذا صغرنا الكلام، هنا التصغير للتودد يا بُنَيَّ، فتودد له أولاً ثم أمره، وهذا يعلمنا درساً في أن تبدأ مع الناس بالحب قبل أن تأتيهم بالأمر **(يُنَبِّئُ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَآمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَصَبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ)** هذه الأربعة معاً قال: **(إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ)**.

إقامة الصلاة من عزم الأمور، وليس في القرآن كما أسلفنا سابقاً "أد الصلاة" ما ورد في القرآن "الذين يؤدون الصلاة" أو "الذين يُسقطون الصلاة" فريضة الصلاة يعني يسقطونها عن كاهلهم، يعني يؤدونها، لكن ورد في القرآن (إقام الصلاة، أقاموا الصلاة، يقيمون الصلاة) لأن إقامة الصلاة تعني أن تؤدي على الوجه الذي أراده الله تعالى، وأن تحقق المقصد الذي أراده الله تعالى منها، فالذي يصلي ولا يطمئن أدى الصلاة لكنه ما أقامها، والفقهاء لهم في ذلك كلمة، يقولون: **سقط الوجوب وإن لم يحصل المطلوب**، والذي يؤدي الصلاة، ثم يأتي الفحشاء والمنكر فما أقام الصلاة، لكنه أداها، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ لَيْكِبٍ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ (45)

(سورة العنكبوت)

فإن لم تنه الصلاة عن الفحشاء والمنكر فما أقيمت، لكنها أدت وسقط الوجوب عن المكلف بذلك ولعله يثاب عليه، لكن هل أقامها الإقامة التي ترضي الله؟! لا، لأنه أتى الفحشاء في قوله والمنكر في فعله، فإذا "أقم الصلاة" على هذا المعنى هي من عزم الأمور، أما إذا كانت تأدية حركات فليست من عزم الأمور، لكن إقامتها من عزم الأمور، قال: **(وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْ عَنِ الْمُنْكَرِ)** قالوا: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الفريضة السادسة في الإسلام، نحن عندنا خمس فروض:

{ بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ. }
 (أخرجه البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر)

يقول أهل العلم: السادسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن الله تعالى ذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في صفات المؤمنين مراراً وبأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكُتُبِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ
مِّنْهُمْ لَمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (110)

(سورة آل عمران)

وهنا (وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْ عَنِ الْمُنْكَرِ) لماذا؟ لأن هذه الفريضة إن توقفت انحصر انتشار الخير، إذا أقام الإنسان صلاته في بيته وأدى زكاه ماله، وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وصام شهر رمضان، وحج البيت، فقد أدى ما عليه تجاه فرائض ربه بنفسه، لكن هل انتشر الخير إلى الآخرين؟ لا.



المعروف والمنكر كلمتان جامعتان مانعتان

الأمر بالمعروف في أضيق دائرة الأسرة، هناك دائرة أوسع العائلة، هناك دائرة أوسع العمل، ربنا اختار المعروف والمنكر كلمتان جامعتان مانعتان، يعني لو قال: الأمر بالخير لقال بعض الناس: ربما الخير نسبي، ما أراه خيراً قد تراه، قال: (وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْ عَنِ الْمُنْكَرِ)، فقالوا: المعروف ما تعرفه الفطر السليمة ابتداءً قبل التعليم، والمنكر ما تنكره الفطر السليمة ابتداءً، ثم المعروف: ما عَرَّفَكَ اللهُ تعالى به أنه معروف، والمنكر: ما أنكره الشرع، فالمعروف والمنكر كلمتان جامعتان مانعتان، كل شيء فيه خير -من مقياس الشرع طبعاً- فهو معروف، وكل شيء فيه شر -بمقياس الشرع- فهو منكر، وسماههما الله تعالى معروفاً ومنكراً: لأن الفطر السليمة -دققوا بكلمة سليمة- تعرف المعروف وتنكر المنكر، السليمة، لكن قد تقول لي: فلان من الناس يرى الزنا معروفاً، هذا طمست فطرته، أما إلى العمق إلى الفطر السليمة فالزنا لا يقبله إنسان، النبي-صلى الله عليه وسلم- لما جاء هذا الرجل الذي قال:

{ يا رسول الله، ائذن لي بالزنا! }

(رواه أحمد بإسناد صحيح عن أبي أمامة)

يعني تريد أن تزني يعني شهوة، أمّا تريد أن تأخذ فتوى وحكماً شرعياً من رسول الله-صلى الله عليه وسلم- تريد إذن أن تفعل الفاحشة! (ائذن لي بالزنا)، يعني لا يوجد اليوم عالم يدخل عليه أحد يقول له: (ائذن لي بالزنا) ربما ينهض إليه ويوسعه ضرباً، إذا لحقه من بين أيدي الإخوان الذين حوله، قال له: "نعال"، الآن ما خاطب فيه الشرع، بل خاطبه بالفطرة، لكن كانت الفطر سليمة، يعني أخشى اليوم لو أن أحدهم أجرى ذلك في الغرب أن يقول له: أترضاه لأمك؟ فيقول: نعم، القصة بذلك تنتهي، هو يخاطب فطراً سليمة، فطرة العربي السليمة، دون الانحراف فطرة الصحراء.

{ قال: ((أتحبه لأمك؟))، قال: لا والله، جعلني الله فداك، قال: ((ولا الناس يحبونه لأمهاتهم))، قال: ((أفتحبه لابنتك؟))، قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداك، قال: ((ولا الناس يحبونه لبناتهم))، قال: ((أفتحبه لأختك؟))، قال: لا والله، جعلني الله فداك، قال: ((ولا الناس يحبونه لعَمَّاتِهِمْ))، قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداك، قال: ((ولا الناس يحبونه لخالاتِهِمْ))، قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداك، قال: ((ولا الناس يحبونه لخالاتهم))، قال: فوضع يده عليه، وقال: ((اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحسن قَرَجَه))، فلم يكن بعد -ذلك الفتى- يلتفت إلى شيء. }

فما الذي خاطبه فيه؟ خاطب الفطرة، قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (30)

(سورة الروم)

فالفطر السليمة تنكر المنكر، لذلك من هنا قال-صلى الله عليه وسلم:-

{ الْيُّرُ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ }

(أخرجه مسلم وأحمد عن النّواسة بن سمعان الأنصاري)

{ وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ، وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوَكَ }

(أخرجه أحمد والدّارمي بإسنادٍ حسن)

ما كرهت أن يطلع عليه الناس، وحاك في صدرك هذا هو الإثم، (وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ) الثانية والثالثة، الرابعة قال: (وَصَبْرٌ عَلَى مَا أَصَابَكَ) الصبر من عزم الأمور هذه المرة الثانية، والثالثة فيها صبر يعني وكان عزم الأمور الكلمة المفتاحية فيه هي الصبر، الكلمة المفتاحية في عزم الأمور هي الصبر (وَصَبْرٌ عَلَى مَا أَصَابَكَ) عطفتها على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن الأمر بالمعروف الناهي عن المنكر سيصيبه ما يؤذيه فينبغي أن يصبر عليه، لا تقل: لن أدخل نفسي في هذا الموضوع لأنه سيأتيني وجع رأس، لا، طبعاً ضمن ضوابط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ضوابط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

ضوابطها بيده، بلسانه، بقلبه، هذا أول ضابط، يبدأ باليد ضمن الدائرة التي يستطيع أن يوقف المنكر بيده، فلا يُقبل من أب في بيته أن يقول: ابني مُصّر على فعل ذلك في داخل بيته-والعياذ بالله-مثلاً يشرب الخمر، وأنا قلت له لكن لم يستجب، هذا بيتك هذه مملكتك، هذه تحتاج أن تزيل المنكر بيدك، ما تسمح به في بيتك، بالدائرة الأوسع، تقول لي: والله أنا ابن عمتي أنا أنصح له، هذه بلسانه، أنا في الطريق شخص تلفظ بكلام سيء جداً ما أعرفه من هو، لو أنني نهيتي ربما يزيد في غيه وما أعرفه، فقلت في قلبك: "اللهم هذا منكر لا أرضى به"، فهذه مراتب.

الآن من أمر بمعروف فليكن أمره بمعروف، ومن نهى عن منكر فليكن نهيه بمعروف، فالأمر بالمعروف لا يكون بمنكر، بمعنى أنه يريد أن يأمره بالمعروف فيصغعه على وجهه، هذا ليس أمراً بمعروف، أو ينهاه عن المنكر فيغلط له في القول بكلام فاحش، قال لك: أنا أنهيه عن المنكر، من أمر بمعروف فليكن أمره بمعروف، ومن نهى عن منكر فليكن نهيه بمعروف، وإلا ليس أمراً بالمعروف ونهياً عن منكر.

أيضاً من الضوابط قالوا إذا أدى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى منكر أشد منه فلا ينبغي أن يكون إلا في القلب، شخص غاضب جداً متفجر غضباً، يتلفظ بألفاظ سيئة، فليس من الحكمة أن تقترب منه في هذا الوقت وتقول له: "صل على النبي" ف-والعياذ بالله- يطلق سيابه وشتائمه أوسع مما كانت عليه، فعندما تعلم أن هذا سيؤدي إلى منكر أشد من المنكر الذي هو واقع فعندها تنكر بقلبك، هذه كلها ضوابط ذكرها أهل العلم واستندوا فيها إلى نصوص الشريعة العامة أو الخاصة في هذا الموضوع، لكن عموماً يجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمرتبة من مراتبه، أما الذي يستبيح يستمرئ المعاصي؛ هنا المشكلة، يقول لك: ماذا حصل؟ هنا المشكلة استمرار المعصية؛ لذلك عندما وصف الله تعالى بعض أهل الكتاب قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (79)

(سورة المائدة)



الإنسان يآلف المعصية بعد حين

وورد في بعض الروايات أن الله تعالى أرسل ليهلك قرية فقالوا: يا رب إن فيها رجلاً صالحاً، ليس مصلحاً، لكنه صالح جيد، قال: "به فابدؤوا إنه كان لا يتمعر وجهه إذا رأى منكراً" ليس ينهى عن المنكر لكن وجهه لا يتمعر، لا يتغير وكأن الأمر طبيعي جداً، وهو صالح في بيته وكذا، لكنه استمرراً المعصية وأصبحت عنده سهلة جداً، لذلك خاصة- لاسيما- إخواننا الكرام الذين يعيشون أحياناً في بلاد الغرب أو في بيئات العمل، أحياناً بينات سيئة نوعاً ما، ينبغي أن ينتبهوا إلى هذا الأمر كثيراً؛ لأن الإنسان عندما يجلس في هذه البيئات من غير أن يشعر يستمرها بعد حين، وهذه المصيبة لا ينكرها قلبه، لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً، يآلفها هذه طبيعة في الإنسان أنه يآلف المعصية بعد حين.

أنا لما ذهبت إلى مكان لا بد من الذهاب إليه في دمشق، كان أول ما أوصيت به: أن هناك ستسمع الناس يطلقون أحياناً -والعباذ بالله- كفرةً بالله، فأول ما أوصيك به ألا تستمرئ هذه المعصية أن تبقى على الإنكار دائماً في قلبك وإلا فإن أصابهم دائرة فأخشى أن يصيبك مثل ما أصابهم، فالإنسان ينبغي أن ينتبه إلى أنه إذا كان في مكان، أحياناً بالعمل طبيعة العمل فيها اختلاط، فيها أناس يتكلمون كلاماً غير مقبول الخ...، فبعد حين يضحك لهم، يلقون شيئاً سيئاً أو يتكلمون كلاماً سيئاً، فيضحك لهم ويبش لهم، فيقع معهم في الإنم، لذلك قالوا: من غاب عن معصية فأقترها كان كمن شهدها، ومن شهد معصية فأنكرها كان كمن غاب عنها، إنسان جالس في مجلس قيل له: أمس الجلسة الفلانية، راحت عليك، "خير" صار كذا وكذا، وجاء فلان وجاء... معاصي وأثام، فشر بذلك وهز رأسه موافقاً، فكانه حضر رغم أنه لم يحضر، والثاني كان في المجلس مضطراً لأمر أو لآخر، وأنكر ذلك بلسانه أو بيده أو بقلبه بحسب ما يستطيعه فكان كمن غاب عنها لا يأثم معهم، هو لا ينبغي أن يكون معهم ابتداءً، لكن لو كان معهم لسبب أو لآخر مضطراً فعندها لا يأثم إذا أنكر (إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ).

إذا إقامة الصلاة، مع الأمر بالمعروف، مع النهي عن المنكر، مع الصبر على ما يصيب الإنسان عموماً أو ما يصيبه من جراء أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر؛ فهذا من عزم الأمور التي تحتاج إلى عزم وإرادة صادقة من الإنسان وإلا لا يستطيعها إلا من يعزم الأمر.

بالمناسبة كيف يكون الإنسان عنده العزم والإرادة؟ من صلته بالله تعالى، فالإنسان ضعيف.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا (28)

(سورة النساء)

لكن من أين يستمد عزمه؟ من اتصاله بالله، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظًا لَّفَلَّيْنَا بِكَ الْقُلُوبَ لَا نَقُصُّوا مِنْ خَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (159)

(سورة آل عمران)

هذا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لولا أنه اكتسب رحمة من الله لما لان الناس له، كيف اكتسب الرحمة من الله؟ بالاتصال به.

4- الصبر على ما يصيب الإنسان ومغفرته لإساءة الناس إليه:

والآية الأخيرة من سورة الشورى (وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) صبر وغفر هنا (إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) الآيات السابقتان (من) هنا (لن)، أولاً ما هذه اللام؟ هذه اللام بسميها أهل اللغة (لام المرحلة) لماذا هي لام المرحلة؟ هذه أصلها لام الابتداء كانت في المبتدأ وُرحلت إلى الخبر، كيف كانت بالمبتدأ؟ أنت تقول: "الشمس ساطعة" الشمس مبتدأ، ساطعة خبر، جملة، لو أردت أن تؤكد "الشمس ساطعة" فتقول: "للشمس ساطعة" هذه لام الابتداء لام التوكيد، تضع لاماً في بدايتها "للشمس ساطعة" تأكيد أو تقول: "إن الشمس ساطعة" توكيد (إِنَّ) أو (اللام) حسناً لو أردت أن تجمع المؤكدين معاً (إِنَّ واللام) لا ينبغي أن تضعهما خلف بعض فتقول: "إن للشمس" فنقول: "إن الشمس -وتزحلي اللام- إلى الخبر-إن الشمس لساطعة هذه لام المرحلة (إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) يعني جمع لها مؤكدين هنا، لماذا هنا مؤكدان وفي الأول مؤكد واحد؟ هنا (وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ).



الصبر والمغفرة يحتاج إلى إيمان القوي

يعني عندما يكون مثلاً-تسأل الله السلامة للجميع-طفل خرج من نافذة البيت فوقع فأصابه مكروه، هذا يحتاج إلى صبر من الإنسان، حسناً طفل يقطع الشارع فجاءت سيارة فصدته صبر وغفر هذا أصعب من الأولى، عندما يكون الابتلاء شيئاً خارجاً عن إرادة الناس (زلزال، بركان) هو كله قضاء وقدر، لكن قضاء وقدر صرف من غير تدخل بشري لا يوجد ظلم من أحد، قال: **(إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ)**، لكن لما يكون هناك ظلم من إنسان يحتاج أن تسامحه مع صبرك **(لَيْنُ عَزْمِ الْأُمُورِ)** المسامحة تحتاج (لام) تأكيد آخر **(وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ)** صبر على ما أصابه وغفر لمن أساء إليه **(إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ)**، الناس غالباً يستقبلون -المؤمنون طبعاً- قضاء الله الذي ليس فيه ظلم من مخلوق بالصبر، لكن إذا كان الذي ظلمك أمامك وأنت قادر عليه وغفرت له **(إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ)** هذه اللام جاءت هنا للتأكيد الأكثر؛ لأن مع الصبر مغفرة وهذا لا يستطيعه إلا أصحاب الإيمان القوي، طبعاً هنا قد يسأل سائل: يجب أن أعفو عن كل من ظلمني؟ لا، أتكلّم عن الحالة التي تكون فيها المغفرة شيئاً جيداً، أن تسامح الناس، لكن لو قلت لي: والله هذا الشخص أساء لي إساءة بالغة، وما تاب ولا يريد أن يتوب، ويسبني للناس فأردت أن أعاقبه، لا يوجد مانع، بالعكس أحياناً قد يكون معاقبة المسيء على إساءته أمراً حسناً، لكن إذا وجدت منه توبة وندماً، ووجدت أن عفوك عنه يصلحه، ويقربه من الله تعالى، ويقربه منك، ويجعله أفضل **(وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ)** لا يقول دائماً ينبغي أن يغفر الإنسان، قد يسامح وقد لا يسامح، وهذا يتبع لكل حالة بحالتها، لكن عندما تكون الحالة تستدعي مغفرة قال: **(وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ)**.

الخاتمة:

فأحبائنا الكرام؛ هذه الآيات الثلاث فيها عزم الأمور، فنسأل الله تعالى أن يرزقنا العزيمة، ليس العزيمة على الطعام، أن يعزمنّا إنسان لنأكل، أحد الأشخاص قيل له: إخفاض الوزن يحتاج إلى عزيمة، قال لهم: والله ما تركت عزيمة لم أحضرها وحتى الآن ما نزل وزني، فالعزيمة ليست للأكل والطعام، وإنما أن يعزم الإنسان على الشيء ويجدّ فيه وما من إنسان يعزم على شيء إلا ويوصله الله تعالى إليه؛ لأن الله تعالى قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا تَنْكُم مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَطُلُومٌ كَفَّارٌ (34)

(سورة إبراهيم)

فالله تعالى من يسأله صادقاً الجنة يصل إلى الجنة -إن شاء الله-، ومن يسأله صادقاً أن يقوم الليل يقوم الليل، ومن يسأله صادقاً أن يحافظ على الصلوات في أوقاتها يحافظ، الذي يعزم على الشيء يصل إليه، يحتاج إلى نية وصدق، وتحدثنا عن صدق النية سابقاً، والحمد لله رب العالمين.